



رسالة الى العدو

ايها العدو، اعرف انه ليس من عادة الاعداء ان يتخاطبوا، لكن عداوتنا غير عادية. فبعد عمر ظللنا نرفض فيه التسليم بعملية السطو التي قمت بها على ارض فلسطين، انتهت بنا احوال الدهر الى ان تقبل دولنا وحكوماتنا بانك لم تعد عدواً، لنا معه صراع وجود، بل مجرد خصم، لنا معه صراع حدود. لم نجاهر جميعاً بهذا التحول، وظل كثيرون بيننا يؤثرون السالف من بلاغة الحرب.

غير اننا رحنا نتصرف جميعاً على اساس ان السلام خيارنا الاستراتيجي، حسب تعبير احد رؤسائنا، خصوصاً بعدما دخلت دولنا كلها في عملية تسوية سلمية معقدة معك. واستقر هذا التحول في اذهاننا عندما اعترفت بالشعب الفلسطيني بعد طول انكار واقمت معه نواة تسوية تاريخية، وان لم تلبث ان التفتت عليها لإفراغها من معناها، فتلكأت في تنفيذ جميع تعهداتك.

وقتنذ ادركنا ان وعود "الشرق الاوسط الجديد" التي اطلقها احد شيوخ قبائلك، رغم المكاسب العظيمة التي شعرنا انها قد تأتيك منها، لم تفلح في تعطيل الغرائز المترسخة فيك، وفي اقتناعك بوقف عدوانك علينا. ولئن تنبّهنا بسرعة الى ان السلام الذي تبنيناه ليس خيار الجميع عندك، الا اننا حافظنا، ولو بخفر، على رهاننا، وصرنا نترقب الاشارات الوافدة من جهتك، علها تعززه.

هكذا، اضحى الكبير والصغير عندنا خبيراً في قانونك الانتخابي ونظامك البرلماني، وصولاً الى اهواء مجتمعتك. ومع شيوع الانترنت الذي جعل من قراءة "هاآرتس" او "جيزورالم بوست" عادة يومية للكثيرين منا، وانتشار الفضائيات العربية التي كسرت الحاجز النفسي فباتت تستقبل ضيوفاً من عندك، سياسيين ومحللين، أعتقد اننا كدنا نحصل جميعاً اجازة في السوسيولوجيا السياسية الاسرائيلية.

أذكر حتى ان احد صحافيك، اعتقد ان اسمه تسفي بار إيل، منح مثل هذه الاجازة لعدد منا قبل عامين بعد مشاهدته ندوة عن نتائج الانتخابات الاسرائيلية السابقة بثتها فضائية لبنانية. بنس المعرفة! ماذا جنينا منها غير المزيد من الضياع. فالحقيقة التي يجب ان اعترف لك بها، ايها العدو، قبل ايام من انتخابات خلناها مصيرية لك، هي اني لم اعد افهمك. ايها العدو، اعرف انه ليس من عادة الاعداء ان يتصارحوا، لكن عداوتنا غير عادية.

لقد فرضت نفسك علينا ثم رحمت تشكو وتنعى اننا لم نقبلك، فاذا قبلنا اخيراً فكرة التعايش معك، لم تعد تبالي. لا اقول ذلك فقط لأنك مصرّ على رفض فرصة معاودة عملية التسوية، فلو كان انحيازك الى خيار آرييل شارون الحربي واضحاً جامعاً، لكنا على الاقل استنتجنا منك شيئاً.

لكنك ترسل اشارات متناقضة في هذا الموضوع تحديداً، مثلما سبق ان فعلت في الانتخابات الماضية عندما جئت بشارون فيما كنت تدّعي تأييد فكرة السلام. حسناً.

حتى ذلك يمكن ان نفهمه، فانت جبّلت بمشاعر العدا لمحيطك، وليس سهلاً عليك ان تتخلى عما بات سليقة عندك. ما لا افهمه هو انك لا تعير هذا الموضوع بالذات اهتماماً يذكر، فتستعيز عنه بسجالات هي في النهاية ثانوية، على ما نراه من صعود لاحزاب ظرفية ليس الصراع مع الفلسطينيين والعرب، او السلام معهم، محور حملتها الانتخابية. ما لا افهمه هو انك تتصرف وكأنك



لا تعرف ماذا تريد. لن أسألك ماذا تريد، سأقول لك ما انت عليه، وما انت عليه، ايها العدو، هو انك مريض.

اعرف سلفاً ما الذي سوف تردّ به عليّ. سوف تقول اننا نحن المرضى. وهذا صحيح، دولنا مريضة ومجتمعاتنا مريضة. لكن الفرق بيننا اننا نعرف حالنا المريضة فيما انت تكابر. ندرك خطورة مرضنا الى حد اننا قبلنا، كمدخل للعلاج، ان نقطع جزءاً من جسدنا، هو هذا الجزء من فلسطين الذي استوليت عليه قبل اكثر من نصف قرن ليقين شاع بيننا ان الصراع الذي خضناه معك ولا نزال عرّضنا، لالف سبب وسبب، لمرض عضال. ففعلنا مثل الجريح الذي يدرك كيف ان الامتناع عن التضحية بيده المصابة سوف يعرضه للهلاك، وقبلنا بتسوية تسمح لنا بمعالجة انفسنا. وهذا ما لم تفعله انت، لانك لم تتنبه بعد انك مريض، وربما اكثر منا. اعرف ايضاً ما الذي ستقوله الآن. سوف تتبجح بفكرة انتصارك، سوف تدّعي اننا لم نصل الى مثل هذه الاقتناعات الا لأننا هُزمننا، وانك تستطيع التمتع بانتصارك فنتلهى بمواضيع اخرى.

لا تتجاسر علي، ايها العدو. نحن نعاني المرض والتخلف، هذا مسلم به، بل لعلنا نعيش في اسوأ بقاع الارض الآن، ولكن من اين لك ان تطمئن الى هذه الحال؟ حري بك ان تخافها. فنحن لم يعد لدينا ما نخسره. على العكس، كن على يقين ان مشهد مرضك، وان تعاميت عنه انت، سيدفع الكثيرين عندنا الى العدول عن التعقل. فما دام المرض يضربك، وأنت لا تعبأ، فلماذا السعي الى تسوية معك؟

سمير قصير



Id-Reference	03-Pr-000673	
Media	(Support)	HC
Title		رسالة الى العدو
Subtitle		
Section		
Language		عربي
Source		النهار
Page		
Date		٢٠٠٣/١/٢٤ 24/1/2003
Author		سمير قصير
Co-Author		
Keywords		
	Persons	آرييل شارون
	Locations	فلسطين - شرق اوسط - اسرائيل - لبنان
	Dates	
	Themes	فلسطين - اسرائيل - "شرق اوسط جديد" - لبنان - عرب - صراع عربي اسرائيلي - رسالة الى العدو - سلام - تسوية سلمية - قانون انتخاب - هآرتس - جيروزالم بوست - سياسة اسرائيلية - انتخابات اسرائيلية
Subject		